مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-014-001-006

تاريخ الأوبئة بالمغرب الأوسط بين القرنين (6-10هـ/12- 16م): دراسة في أسباب وقوعها وخريطة انتشارها

Epidemics' history in the Middle Maghreb over the last two centuries (6-10AH/12-16AD) A study of their causes and spread

اسم ولقب المؤلف المرسل: بقرار منير-Bekrar Mounir صص116- 134
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه - كلية الآداب والحضارة الاسلامية- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية - عضو في مخبر الدراسات الأدبية والانسانية - قسنطينة.
البريد الإلكتروني: bekrarmounir31@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2023/12/05. تاريخ المراجعة: 2024/01/07. تاريخ القبول: 2024/05/18..

الملخص: تبحث هذه الورقة العلمية في الوضع الصحي لمجتمع المغرب الأوسط وهي من القضايا التي تحظى باهتمام من طرف الباحثين في الفترة الراهنة، وأضحى البحث فيها ضرورة ملحة طرحتها التحولات المستجدة التي عرفتها الكتابة التاريخية، ويحفل تاريخ المغرب الأوسط بعديد الموضوعات ذات الصلة بالشؤون الصحية، فلا غرو أنّ المنطقة لم تعرف الاستقرار الصحي طيلة فترة العصر الوسيط نتيجة الموجات الوبائية التي عصفت بها، وإذا تحدثنا عن الفترة التي أعقبت القرن 6هـ/12م، فإن تردد الطواعين والأوبئة وانتقالها من مجال جغرافي إلى مجال آخر قد تصاعد بوتيرة مرتفعة، ممَّا سبَّب انحدارًا سكانيًا ألحق وهنًا ديموغرافيًا خطيرًا بالمنطقة من جهة، وكارثة عنيفة أفرزت نتائج اقتصادية واجتماعية تميزت بفداحتها من جهة ثانية.

وعليه، ستحاول هذه الدراسة التركيز على إشكاليتين محوريتين: تتناول الإشكالية الأولى عوامل حدوث الأوبئة والطواعين التي اجتاحت المغرب الأوسط ما بين القرنين (6-10هـ/12-16م)، بينما ترصد الإشكالية الثانية جغرافية انتشارها وأعداد الإصابة بها ومؤشرات تطورها.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة- الطواعين- الطاعون الأسود- المغرب الأوسط- العصر الوسيط.

ABSTRACT : This academic piece explores the health situation in Middle Maghreb society, which is one of the current areas of study. The new alterations of historical writing have made research an important necessity, and Middle Maghreb history celebrates a variety of health-

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

related topics. Unsurprisingly, the region experienced no health stability during the middle Age as a result of epidemic waves that decimated it. However, in the 6th century AH/12 AD period, the frequency of volunteers and epidemics, as well as their movement from one geographical area to another, increased dramatically. This has resulted in a population drop and a serious demographic collapse in the region. On the other hand, there is a violent catastrophe with massive economic and social ramifications.

As a result, this study will attempt to focus on two major issues: the first addresses epidemiological factors that have swept through Middle Maghreb over the last two centuries (6-10 AH/12-16 AD), and the second examines the geography, number of epidemics, and their implications for the region's population.

Keywords: Epidemics - plagues –The Black plague -Middle Maghreb - Middle Ages.

مقدمة: لقد كان للموجات الوبائية التّي عصفت بالجماعات السكانية بالمغرب الأوسط تداعيات خطيرة على الشؤون الصحية، حيث سجلت المصادر التاريخية معطيات انطباعية تؤكد ارتفاع معدل الوفيات زمن استفحالها، وقد أثّر النزيف الديموغرافي الذي أصاب مختلف عناصر النسيج الاجتماعي على الحياة بمختلف مجالاتها الاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى الثقافية العلمية، بسبب قضاء العديد من العلماء والفقهاء والطلبة حتفهم، لا سيما في فترة انتشار الوباء العام الذي سمي في الأدبيات الوسيطة بالطاعون الأسود سنة (749هـ/1348م).

وعلى الرغم من التدابير والإجراءات الوقائية المتخذة زمن تفشي الأوبئة، إلا أنّ ذلك لم يمنع المغرب الأوسط من التعرض لموجات متكررة من الوبائيات والجوائح الطاعونية الخطيرة، والتي كانت تتردد على مجالاته بصفة دورية، بداية من القرن الهجري السادس إلى غاية القرن الهجري العاشر/12-16م، حيث أشارت المظّان المصدرية إلى وقوع المغرب الأوسط تحت طائلة من الأزمات الصحية الخطيرة عاشتها المجموعات السكانية خلال المرحلة السابقة، وقد شكلت فيها الأوبئة أخطر كارثة تضرب المنطقة، والتي انعكست تداعياتها ومخلفاتها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وطالت الجوانب الثقافية والعلمية، فطرأت بسببها جملة من التحولات الديموغرافية والذهنية والسلوكية مسّت العناصر المكونة لمجتمع المغرب الأوسط.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ومن قبيل بحثنا في موضوع تاريخ الأوبئة بالمغرب الأوسط خلال فترة العصر الوسيط المتأخر، ومن خلال رصد عوامل ظهورها وتحديد مجالات انتشارها، وتتبع مؤشرات تطورها وانحدارها. كان من الضروري أن نطرح التساؤلات التالية: ماهي أهم الوبائيات والطواعين التي عصفت بالمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة بين القرنين (6-10هـ/12-16م)؟ وفيما تتجلى أسبابها وعوامل حدوثها؟ وماهي أخطر الأوبئة التي تفشت بمستويات مرتفعة وسريعة في المنطقة؟

1- المدلول اللغوي والاصطلاحي للفظ الوباء:

1-1 لغة: وَرَدَ لَفْظُ الوَبَاءِ لِيَدُّلَ عَلَى المَرَضِ العَامِ، وَمِنْهُ الوَبَأُ الذِّي قَابَلَ دَلَالِيًا مُفْرَدَةَ الطَّاعُونِ، وَجَمْعُ المُمْدُودِ أَوْبَيَةٌ وَالمَقْصُورِ أَوْبَاءٌ[1]، وَأَشَارَ الجَوْهَرِيُّ[2] إلى مَعْنَاه فِي الصِّحَاحِ فَقَالَ أَنَّه القَرْفِ الدَّالِ عَلَى المَوْتِ وَهُوَ المَرَضُ العَامُ[3]، وَقِيلَ وَبِئَتِ الأَرْضُ أَيْ أَنَّهَا مَوْبُوءَةٌ فَهِيَ كَثِيرَةُ المَرَضِ.

2.1 اصطلاحا: يُعرِّف ابن زهر[4] الوباء على أنّه المرض العام الذي يصيب أهل بلد من البلدان، وغالبا ما يكون قاتلا للناس، ويقدّم لنا ابن خاتمة المري تعريفا آخر قال فيه أنّ الوباء هو "مرض عام للناس قتّال غالبا عن سبب مشترك" يتحدد في الهواء، وذلك ناجم عن اضطرار الناس لاستنشاقه[5]، ويؤيده عامل ثان مرتبط بالنظام الغذائي وأزمة الفساد التي تصيبه[6]. وترجع أسبابه على حسب رأي لسان الدين بن الخطيب[7] إلى سببين رئيسيين: الحركة الفلكية للكواكب والنجوم وتأثيرها على العالم وهو تفسير صاغه المنجمون، والعامل الثاني متصل بتلوث الهواء وفساده، في المقابل شغل هذا العامل الأخير الذي استعرضته المتون الطبية تركيز

1 ابن منظور- لسان العرب- دار صادر- بيروت- ط 6- ج15- 2008- ص141.

2 القزويني أحمد بن زكريا - معجم مقاييس اللغة- تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار الفكر، بيروت- 1979- ج 6- ص83.

3 الجوهري- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- 1987- ط 4- ج 4- ص 1416.

4 كتاب الأغذية- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1998- ط1- ص126.

5 ابن الجزار- كتاب في طب المشائخ وحفظ صحتهم- تحقيق فاروق العسلي والراضي الجازي- المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة- تونس- 2009- ط1- ص49.

6 ابن هيدور- مقالة في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية- مخطوط مكتبة آل سعود- الدار البيضاء- رقم 364 - و- 2- و. مخطوط مأخوذ من موقع-.http://www.fondation.org.ma/web/affichage_numerrics/1747/17/ar

7 مقنعة السائل عن المرض الهائل- تحقيق حياة قارة- منشورات دار الأمان- الرباط- 2015- ط1- ص65.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الأطباء في غالبيتهم انطلاقا من كتب أبقراط[1] وجالينوس[2] مرورا بالمعرفة الطبية بالمشرق الإسلامي ووقوفا عند المغاربة والأندلسيين[3] .

2- المدلول اللغوي والاصطلاحي للفظ الطاعون:

1.2- لغة: ورد في لسان العرب[4] على أن الطَّاعون، دَاءٌ معروف والجمع طَوَاعِينٌ، وطُعِنَ الرَجُلُ فَهُو مَطْعُونٌ وطَعِينٌ أي أصَابَهُ الطَّاعُون، وجاء اشتقاقه في أساس البلاغة[5] من الطعن وجُمع في كلمة طواعين، وهي رماح الجن[6]، كما دّل في القاموس المحيط[7]، على معان منها الدّبلُ والزّقمة.

2.2- اصطلاحا: يُعرّف الطَّاعون بأنّه حمة خبيثة دائمة عن سوء مزاج قلبي ينتج عن سبب علمي طبي مفاده فساد الهواء والغذاء[8] وسبب ديني مرجعيته الأحاديث النبوية، وهو "وخز الجان"[9]، كما تكثر الطواعين زمن انتشار الأوبئة[10] وتعتبر من أهم الحقول الخصبة المساعدة

1 طبيب يوناني شهير توفي على الأرجح في سنة 357 ق م- ينظر- ابن جلجل- طبقات الأطباء والحكماء- تحقيق فؤاد شيد- مؤسسة الرسالة- بيروت - 1985- ط2- ص 16.

2 طبيب يوناني ظهر بعد وفاة أبقراط بحوالي 656 سنة، اشتهر بقسمه الشهير حول المبادئ الأخلاقية لمزاولة مهنة الطب- ابن أبي أصيبعة- المصدر السابق- ص 43 – النديم- الفهرست- تحقيق إبراهيم رمضان- دار المعرفة- بيروت- 1997- ط 2- ص350.

3 الملاحظ بعد دراسة المصطلح وضبطه طبيا أنّ معظم الكتب الطبية باختلاف مجالها الجغرافي قد أرجعت سببية ظهور الوباء إلى فساد الهواء- للمزيد من التفاصيل ينظر- محمد بن علي الشقوري- مقالة في الطّبّ- مخطوط الخزانة الحسنية – الرباط- رقم- 1540- و- 2- و- ابن خاتمة المري- تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد- رسالة منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية- تحقيق محمد حسن- المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب- بيت الحكمة-تونس-2013- ص127.

4 ابن منظور- المصدر السابق-ج 9- ص122.

5 الزمخشري- أساس البلاغة- تحقيق محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- بيروت- 1998 - ط 1- ج 1- ص 606 .

6 ابن منظور- المصدر السابق-ج 9- ص122.

7 الفيروزآبادي- القاموس المحيط - تحقيق نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت - 2005 - ط 8- ص9.

8 الرَّصاع - الأجوبة التونسية عن المسائل الغرناطية – تحقيق محمد حسن- دار المدار الإسلامي – بيروت- 2007- ط1- ص106.

9 قال صلى الله عليه وسلم: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ (قُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا الطَّعْنَ فَمَا الطَّاعُونُ ؟) قَالَ: وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَفِي كُلٍّ شَهَادَةٌ» ابن حنبل- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد- مؤسسة الرسالة- مصر- 2001-ج 32- ص293. الطبراني- الروض الداني- تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير- المكتب الإسلامي- بيروت- 1985- ط 1- ج 1- ص95.

10 الفرق بين الوباء والطاعون، هو أنّ الأول أعم من الثاني وأشمل منه، والطاعون قد يظهر في شكل جذري وجذام وبرص وحمى، وقد يصيب أفرادا دون آخرين، لكن الوباء يصيب جميع الناس دون التفريق بينهم. مصطفى صمراني- الوباء من خلال النوازل والكتبابات المنقبية بالمغرب الأوسط- مجلة البحوث والدراسات العلمية- مج 18- ع1- الجزائر-2024- ص1.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

على انتشارها واستفحالها[1]. وهي في تعريف آخر أي الطواعين يُقصد بها كل نوع من الأمراض التي تظهر زمن حدوث الأوبئة، وتكون في شكل دماميل وأورام وجراح تصيب الناس، فكل ما يطرأ على جسم الإنسان من تغيرات كظهور القروح والأورام بمختلف أصنافها يعدّ من بين الأعراض الرئيسية للطاعون[2]، ويُقسّم الباحثون[3] الطَّاعون إلى عدّةِ أنواع من أبرزها: الطاعون الدبلي (اللمفاوي)، الرئوي، والانتاني.

3- تفسيرات لجائحة الوباء: من الثابت أنَّ تلازمية العلاقة بين المرض والإنسان ككائن بيولوجي، قد تكون في أغلب الأحيان منتجة لتفاسير عدَّة يتمظهر خطابها في نخبة طبية متخصصة، وفقهية مجتهدة، وتنزع نحو النموذج العامِّي التجريبي، ومادام الأمر كذلك فالبحث في تركيبة الأسباب المفضية إلى الأمراض والأوبئة، يقتضي جمع المعطيات الواردة في مختلف الحقول المصدرية وملامسة المادة الوثائقية بمتونها الطبية[4]، التاريخية[5] والجغرافية[6].

وقبل الخوض في الحديث عن أسباب حدوث الوباء في العنصر الموالي، وفي ظل النقص الفادح للنصوص المتعلقة بالشؤون الصحية وتاريخ الأوبئة والطواعين بالمغرب الأوسط، فقد لجأت إلى الإسقاط أحيانا على نماذج من الأوبئة، والتي كانت سابقة للدراسة زمنيا وحدثت في الماضي، مثل وباء تنس ووباء بونة الذي سبق مجال الدراسة بحوالي قرن.

3-1-أسباب حدوث الوباء: يرجع حدوث الوباء وانتشاره إلى جملة من الأسباب يمكن عرضها فيما يلي:

---

1 ابن سينا- القانون في الطب- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1999- ط1- ج1- ص29.

2 ابن زهر-التيسّير في المداواة والتّدبير، تحقيق ميشيل الخوري- منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- دمشق- 1983- ط1- ص327.

3 شلدون واتس- الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الامبريالية- ترجمة أحمد محمود عبد الوهاب- المركز القومي للترجمة- 2010- ط1- ص73- غنوة خليل الدّقدوقي- أمراض الحروب- دار المعرفة، بيروت- 2007- ط1- ص275.

4 نستهدف التجربة الطبية ذات الصلة بالقوانين العلمية، بغرض بناء النسقية العامة للمسَّوغَات والعلل الكامنة خلف حدوث الأمراض والأوبئة.

5 نرمي في هذا الموضع إلى التَّدليل بِقَرَائن تَاريخيّة – بالرغم من النَّزْرِ اليسير الذِّي طبع متونها - تُحِيلُ إلى ربط الجانب الطِّبِي بما اندرج من مضامين متعلقة بمجالية الموضوع زمانيا (6– 10هـ/12– 16م) وجغرافيا المغرب الأوسط).

6 نستحضر المعلومات الجغرافية للكشف عن المناخ والتغيرات الطارئة عليه كطرف مساهم في بزوغ الأمراض و الأوبئة.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- **التغير المناخي:** يُؤثِّرُ التَّغير المناخي على الصِّحة العامَّةِ للأفراد القاطنين بأقاليم معينة، تكون في الغالب معرضة لاضطرابات على مستوى فصول السنة، خاصة فيما تعلق بكميات التساقط والجفاف وتبدل أدوارهما زمنيًا لذا فإن المعرفة الطِّبِيَّة لا تَخْلُو من رُؤيةٍ توفيقيةٍ تُجْمِعُ على اعتبار المناخ وما يَعتَرِيه من تحولاتٍ مُؤثِّرًا على الوظائف البيولوجية للإنسان.

ومن المؤكَّدِ حَسْب النظَرِياتِ الطِّبية[1]، أنَّ الأوبئة نِتَاجٌ لعواملَ أساسية منها التَّغيرات المناخية التي تطرأ على البيئة موطن استقرار الانسان[2]، وبما أنَّ المجالات الجغرافية الواقعة على ضفاف بحر الروم ذات مناخ متوسطي[3]، فقد عرفت خلاله أقاليم المغرب الأوسط العرضية مواسم رطبة وشبه جافَّة وأخرى حارة أَعْقَبَتْهَا فتراتٌ باردةٌ، تنامت فيها الأوبئة[4].

وممّا ينهض الحجّة على تأثير التّغير المناخي على صحة الإنسان، نوبات المرض التي حاقت بأندلسي إلبيرة وتدمير، عندما عزموا على الاستقرار في تنس بمجرد حلول فصل الربيع[5] نتيجة لتباين المميزات المناخية بين الأندلس والمغرب الأوسط، وهو ما انتبه إليه بعض الجغرافيين والرحالة الذين اختلفت تفسيراتهم له، فقد ربطه كل من البكري والحسن الوزان بنطاق العواصف الرَّعدية الذي يتسع لاسيما في فصل الصيف، مع توسط المنطقة – أي المغرب الأوسط- جعلها مجالاً مُعَرَّضًا لحركة الرِّيَاح الشَّرقيةِ وجنوبِ الشَّرْقيةِ العنيفة والمضِّرة، كذلك بكمية التساقط الكبيرة خلال شهر جوان- أي في فصل الصيف-، وطالما اعتبرت هي الأخرى إحدى روافد الأمراض خصوصا الحُمَّى الوَبَائِيَّة[6].

-**التلوث الهوائي والمائي:** يُعَدُّ التَّلوثُ الهوائِيُّ والمائي قاسمًا مشتركًا بين مختلف التَّفاسيرِ المُرْتبطَةِ بسببية الأمراضِ والأوبئةِ، لَاسِيَّمَا وَأَنَّهُما من المُكَوِّنَات التي لَا غِنَى عَنْها في الكرْةِ الأَرضيّةِ، وَلِذلِكَ حظيا بمزيد عناية في علم الطِّبِ الإِسْلامِي، حيث ظَلَّت معظم الرُؤى الطبية

1 ابن زهر- التيسّير في المداواة والتّدبير- تحقيق ميشيل الخوري- منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دمشق- 1983- ط1- ج2- ص417- 418.

2 ابن هيدور- المصدر السابق- و- 1- ظ.

3 دومينيك فاليريون- بجاية ميناء مغاربي- ترجمة علاوة عمارة- المجلس الأعلى للغة العربية- الجزائر- 2014- ط1- ج2- ص 242- 243.

4 فرنان بروديل، المتوسّط والعالم المتوسّطي- ترجمة مروان أبي سمرا- دار المنتخب العربي- بيروت- 1993- ط1- ص67 .

5 البكري- المسالك والممالك- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1992- ج2- ص718.

6 المصدر نفسه- ج2- ص726.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

في العصر الوسيط ترتكز في تفسيرها للمرض على الهواء والماء وحضورهما الفعال في نظرية الأخلاط والأمزجة التي كانت سائدة طيلة فترة العصر الوسيط، وفي ضوء مُحدِّدَاتٍ عِلْمِيَةٍ طِبّية لما يصيب الإنسان من أمراض لها صلة وثيقة بالهواء والماء.

ولا ريب في افتراض وجود علاقة بين البيئة الهوائية والمائية المؤدية إلى بروز حالات مرضية مستفحلة بين أوساط الجماعات السُكانية بالمغرب الأوسط، فقد تعرض الأندلسيون لهالة الأوبئة والعلل بعد أن استوطنوا مدينة تنس، ممَّا يُمكن تفسيره بالمركَّبِ الهوائي والمائي[1] الملوث والضارِ[2]، وبِقِوَامِ دليلٍ آخر مُقْتَضَاهُ أنَّ العرق الأبيض عادة ما يكون هدفا للأمراض والأوبئة كما لمّح إليه البكري(ت487 هـ/1094م)[3] عند تعريجه على مدينة بونة.

وغالبا ما ينتج عن فساد المياه حالات وبائية لذلك حذَّر الأطِبّاء من شرب مياه الآبار المحتقنة والمستعدة إلى قبول الفساد والتعفن[4]، بفعل الحتمية المناخية وما تفرضه من تغيرات طارئة على جوهر الماء وكيفه[5]، ومن القرائن التاريخية الدَّالة على نيل الأمراض –أي المنتقلة عبر المياه- من عناصر النسيج الاجتماعي بالمغرب الأوسط ما صرح به البكري[6] حول بئر أرزاق

1 إن العديد من الآراء المرتبطة بتلوث بنية الهواء والماء لبعض مدن المغرب الأوسط - خصوصا المدن الواقعة على الضفة البحرية – قد تنتفي بمناعة مدن أخرى وسلامة تركيبها الهوائي والمائي، ونستهدف دفاعا عن ما سلف بسطه من طرح بقول ابن الخطيب أنَّ: «تِلمْسانَ هَواءُ المقصُورُ بِهَا فَرِيدٌ وهَوَاؤُهَا المَمْدُوحُ صَحِيحٌ عَتِيدٌ ومَاؤُهَا بَرُودٌ صَرِيدٌ حَجَبَهَا أَيْدِي القُدْرَةِ عَنِ الجَنُوبِ فَلَا نُحُولَ فِيهَا وَلَا شُحُوبَ». ينظر- ابن الخطيب- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 2002- ص184.

2 أوضح الجغرافيون من خلال نَظْمٍ شِعْرِي واقع الوضعية الصحية بحاضرة تنس نتوقف منها على ما يلي:

أولا: ما ذكره البكري على لسان أحد الشعراء:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ أَرْضِ تَنَسْ بَلَدُ اللُّؤْمِ لَعَمْرِي وَالدَّنَسِ
بَلَدٌ لَا يَنْزِلُ القَــطْرُ بِهَا لِلْـنَّدَى فِي أَهْلِهَا حَرْفُ دَرْسِ
مَاؤُهَا مِنْ قُبْحٍ مَا خُصَّتْ بِهِ نَجِسٌ يَجْرِي عَلَى أَرْضٍ نَجِسِ

وقد ورد أيضا نظمٌ شعري آخر اقتبسنا منه بيتا واحدا يخدم ما نحن بصدد تجليته من مظاهر تومئ بتردي الأوضاع الصحية مفاده:

بِلَادٌ فِيهَا البُرْغُوثُ يُحْمَلُ رَاجِلًا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الذِئْبُ فِي زَمَنِ الحَشْرِ

ينظر- البكري- المصدر السابق- ج 2 - ص 727- 728.

3 المسالك والممالك، ج2- ص718.

4 بنحمادة سعيد- الماء والإنسان في الأندلس- خلال القرنين 7 و8 هـ/ 13 و14م- إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات - دار الطليعة- بيروت-2007- ط1- ص 228.

5 الحسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- 2002- ص21.

6 المسالك والممالك- ج2 - ص717.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الواقعة بمرسى الخرز، حيث تعترف الساكنة بمنبعها للأدواء والأسقام، حتى نفرت منها العامة ولم تتعهد بالاستخدام لنتائجها المرضية، وبرزت في منظومة الأمثال الشعبية [1] لدى المجتمع المغرب أوسطي، حيث كان الناس يرددون مثلا مفاده "طعنة بمرزاق خير من شربة ماء أرزاق"[2]، لِيُعَبِر عن المخَلَّفِ المَرَضِي ذُو البُعد الضَرَرِي المؤثّر عَلَى الشُؤُونِ الصِحِيَّةِ المحلية.

-الغذاء والأزمة الغذائية: لقد شهد المغرب الأوسط طيلة الفترات التي أعقبت القرن السادس الهجري/12م، موجة من الكوارث الطبيعية كالجفاف والقحوط والعواصف[3]، لتبرز بذلك قيم أخلاقية كالاستسقاء تعزز من صحة أدوار الجفاف التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط، حيث نجد أنّ الجماعات السكانية المستقرة بتلمسان كانت تلتمس دعاء الشيخ أبي زكريا بن يوغان[4] لتساقط المطر[5]، وفي السياق ذاته قام العالم المُفسِّر أبو الحسن الحُرَّالِيُّ بالدّعاء لسكان بجاية عندما أصابهم القحط واحتباس الغيث[6]، وعلى ما يبدو من خلال هذه الأدلة أنّ المدن والبوادي قد دخلت في مرحلة أصبحت بيئتها جرداء وقاحلة تفسر خصوصا بتراجع منسوب التساقط، وانعكست آثار الجفاف على إنتاجية الأراضي بالمغرب الأوسط.

وفي المقابل، فقد ألحقت الأمطار والعواصف الصيفية أضرارا بالمحاصيل الزراعية خاصة المتعاقبة على فترات الجني والحصاد[7]، وهو ما أدّى إلى فساد الإنتاج وتضرره خصوصا مادة

1 البكري- المصدر السابق- ج2 - ص718.

2 وردت عند الزجالي: «طعنة بمرزوق ولا شربة من بير أرزق»- الزجالي أمثال العوام في الأندلس- تحقيق محمد بن شريفة- منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي- المغرب- د ت- ج 2- ص247.

3 بلعربي خالد- المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني- مجلة كان التاريخية- ع 4 - جوان – 2009- ص20- 21.

4 هو أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي عاش في تلمسان وتتلمذ على يد أبي محمد عبد السلام التونسي أمير من أمراء صنهاجة، كان شيخا زاهدا تقيا مستجاب الدعاء، توفي سنة 537هـ/1142م ودفن بمقبرة العُبّاد- التادلي- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي- تحقيق أحمد التوفيق- مطبعة النجاح الجديدة- الرباط- 1997- ط 2- ص124.

5 التادلي- المصدر السابق- ص124.

6 هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الحرّالي المراكشي، كان مفسرا وفقيها، نشأ بمدينة مراكش ثم ارتحل عنها قاصدا العديد من المدن، من بينها بجاية التي نزل بها واستقر فيها في حدود سنة 622هـ/1226م يلقن الطلبة العلم الشرعي، ثم غادر إلى بلاد المشرق وتوفي في حماة سنة 637هـ/1239م- الغبريني- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق عادل نويهض- منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- 1979م- ط2- ص143.

7 حسن الوزان- وصف إفريقيا- ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983- ط2- ج1- ص 80 -81.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

القمح التي كانت تمثل الغذاء الأساسي للساكنة، مما زاد من احتمالية تعرض مجتمع المغرب الأوسط لمجاعات بنسب عالية بسبب نقص الغذاء وندرته زمن الكوارث الطبيعية.

ولا غرو أنَّ التَّدخل البشري له حضوره كفاعل محوري في الأزمات الغذائية، فالتَّوسط الجغرافي للمغرب الأوسط بين الدولة الحفصية والمرينية جعل مجاله انتقاليا، ومحورا أكثر تفتحا وقابلية للحروب، وانعكس ذلك في شكل اضطراب أمني أثر على الإنتاج الزراعي وغالبا ما كان يعطله ويوقفه خلال فترات سير الحملات العسكرية[1]، فتهاجر الجماعات السكانية من الأرياف لاسيّما وأنَّهم لا يأمنون على أنفسهم وملكياتهم[2] من أيادي الغصب وعصابات اللصوص وتجليات الحرب. ولا ريب أنَّ تمركز الأراضي الزراعية خارج المدن[3] قد جعلها بؤرة لحروب ضارية[4]، حيث أغار عثمان بن يغمراسن سنة 686هـ/1287م على مغراوة وبني توجين واستولى على محاصيلهم الزراعية[5]، مما أدَّى إلى تضرر الفلاحين وذكى عزوفهم عن النشاط الفلاحي بسبب كثرة التَّعديات والضرائب والفتن[6].

2-3- التفسير العلمي: استنادا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: "وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ"[7]، نَظَّرَ الفُقهاء إلى سببية الأمراض الوبائية في إطارها العام،

1 محمد حسن- القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط- دار الرياح الأربع- تونس- 1986- ط1- ص35.

2 محمد غالم، ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين الذاكرة والتقليد- مجلة إنسانيات- ع 3- 1997- ص59.

3 محمد فتحة- النوازل الفقهية والمجتمع- أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن السادس إلى التاسع هـ/12 – 15م)- مطبعة المعارف الجديدة- الرباط- 1999- ص345.

4 حول الموضوع ينظر- عبد الحميد حاجيات- دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي- عالم المعرفة- الجزائر- 2011- ج1- ص113.

5 ابن خلدون- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- تحقيق خليل شحادة - دار الفكر- بيروت – 2000- ج7- ص211 .

6 عبد المالك بكاي- الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن (7– 10هـ/13– 16م)-أطروحة دكتوراه- جامعة باتنة- 2014- ص203- عمر بنميرة- النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط- مطبعة الأمنية- الرباط- 2012- ط1- ص141.

7 ابن حنبل- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد- مؤسسة الرسالة- مصر- 2001-ج 32- ص 293. وقد ورد أيضا عند- البزاز- مسند البزاز- البحر الزخار- تحقيق محمود الرحمن زين الله- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- 2009- ط1- ج8- ص17.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ولذلك فقد توافق رأي الفقهاء مع الرأي الطبي في تحديد طبيعة الأسباب الكامنة خلف حدوث الأوبئة.

وعلى ما يبدو أنّ الدّين لم يكن المرجعية الأساسية لدى هذه النخبة في حصر أسباب الأوبئة والطواعين، فقد شكلت المعطيات الطبية محطة الانطلاق في رصد هذه الأسباب. ومما يبرهن على ذلك هو استدلال ابن القيم (ت751هـ/1350م)[1] الذي استند إلى الرأي الطبي في اعتبار الوباء جملة من "القروح والأورام والجراحات"، وهي الحالة الظاهرة والطبية البحتة. أمَّا عن السبب الفاعل فاستنبطه من الخطاب السني: "الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"[2]، وحديث "وَخْزُ الجَانِ"[3]، ثم أعقب طرحه مباشرة بِأَنَّ "الله سُبحانَهُ قد يجعل لهذه الأرواح تصرفا في أجسام بني آدم عند حدوثِ الوباءِ وفسادِ الهواءِ"[4].

وعليه، فالعامل الأخير- أي فساد الهواء- أساس حدوث الأوبئة لدى التيار الطبي[5]، بالإضافة إلى تصدره عِلِيَّةَ التقلب المناخي والتلوث المائي والتعفن الغذائي وهي من جملة العوامل الرئيسية في ذيوع الأمراض العامة والأوبئة التي تصيب الناس دون التمييز بينهم.

وأمام ضعف مساهمة القطاعات الإنتاجية الأخرى كالقطاع التجاري[6] في تحقيق الأمن الغذائي، آلت الوضعية الاقتصادية للمغرب الأوسط إلى التذبذب والتَّردي خصوصا في فترات الحصار العسكري مما أحال إلى كوارث طبيعية تبوأت أزمة الجوع فيها الصدارة، وفي هذا الصدد لن نسلط الضوء على كل المجاعات التي عصفت بالمغرب الأوسط– لأنها ليست من

1 زاد المعاد في هدي خير العباد- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1994-ج 4- ط 27- ص 36 .

2 مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- د ت- ج 4- ص1737 .

3 يقول صلى الله عليه وسلم في النص الكامل للحديث، «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ (قُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا الطَّعْنَ فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: وَخْزُ أَعْدَائِكُمُ مِنَ الجِنِّ وَفِي كُلٍّ شَهَادَةٌ». الطبراني- الروض الداني- تح محمد شكور محمود الحاج - المكتب الإسلامي- بيروت- 1985- ط1- ج1- ص- 95.

4 ابن قيم الجوزية- المصدر السابق- ج4 - ص36.

5 ابن هيدور- المصدر السابق- و - 1 - و.

6 ارتبط القطاع التجاري في المغرب الأوسط بالمواد المصنعة والمعدنية في الغالب كالصوف والأقمشة و النسيج والذهب، وهذا ما قطع وتر العلاقة مع القطاع الزراعي الذي يعتبر الأهم من ناحية حاجة المجتمع إلى الأمن الغذائي، حول موضوع حركية التجارة في المغرب الأوسط- ينظر- دومينيك فاليريون- المرجع السابق- ج1- ص432- فؤاد طوهارة- المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني (7– 9 هـ/ 13– 15م)- مجلة دراسات تاريخية- ع 16- جوان- 2014- ص93 – 94.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

صميم موضوعنا- إلا ما كان منها على علاقة بالأوبئة، فلذا تُعَدُّ مجاعة بجاية المؤرخة في سنة (588هـ/1192م)، من المجاعات التي سجلت فيها كارثة الوباء كانعكاس لها، فبعد أن تعرض البناء الاجتماعي إلى حصار عسكري ضربته جيوش بني غانية[1] على المدينة، انتشرت أزمة الجوع بين الجماعات السكانية المستقرة بمدينة بجاية، مما أدّى إلى تفشي الوباء بين أوساطها.

وعلى الرغم من أنّ الطرح الخلدوني يؤكد بأنَّ الناس قد دأبوا على تخزين أقواتهم وتوفير أغذيتهم إمّا بالاحتكار[2] أو بالادخار، إلا أنَّ الرصد الإخباري للأوضاع من طرف ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)[3]، يوحي بانعدام حلول لانفراج الأزمة مما يبرهن على فداحة الوضع وصعوبة تجاوزه، ويضيف ابن عذاري في أن: "المجاعة تشتد والوباء يزيد حتىَّ عمَّ الموتان"، مما أنتج أوضاعا زراعية متدهورة بسبب الجيوش المرابطة في المساحات الزراعية، وقلة الحركة التجارية بعد المنع المسبق للتردد على المدينة بحكم الظرفية الحربية، ووفقا لهذا الوضع وتعاظمه آل المجتمع بسبب الأحوال الاقتصادية والغذائية السّائدة إلى وباء عام خلف انعكاسات ديموغرافية تمحورت في ارتفاع مُعدّل الوفيات بمدينة بجاية.

4- جغرافية الأوبئة بالمغرب الأوسط- إحصاء وتحليل: لا ريب أنَّ الدّراسات التاريخية ذات الصلة بموضوع الكوارث الطبيعية والجوائح الطاعونية خلال فترات العصر الوسيط، بالإضافة إلى ما تحتويه المادة المصدرية في موضوع الأزمات المجتمعية ينفي بأدِلّة حاسمة عزلة مجال المغرب الأوسط عن الإصابة بالجوائح والأوبئة الفتاكة، بل وتعكس مختلف النصوص الإخبارية والوصفية والفقهية صورة قاتمة عن تردد الوبائيات بشكل دوري، وترسم لنا العديد من مخلفاتها الخطيرة على البنى الاجتماعية والاقتصادية، وذلك ما سنؤكد عليه في الجدول التالي الذي يُبيّنُ عدد الأوبئة التي عصفت ببلاد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين (6 – 10هـ/12- 16م):

1 نسبة إلى محمد بن علي بن المسوفي المعروف «بابن غانية»، عينته السلطة المرابطية على الجزر الشرقية من الأندلس كميورقة وغيرها، شن أتباعه حملات عسكرية على الجيوش الموحدية بعد سقوط الدولة المرابطية وطال توسعهم المغرب الأوسط، السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا- تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1954- ج2 ص168.

2 ابن خلدون- المصدر السابق- ج7- ص 376.

3 البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- جزء الموحدين- تحقيق محمد زنيبر وآخرون- دار الغرب الإسلامي- 1985- ط1- ص180.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الإطار الزمني	الإطار الجغرافي	المصادر
(588 هـ / 1192م)	بجاية	البيان المغرب- ص181.
(610 هـ / 1213م)	المغرب والأندلس	روض القرطاس- ص272. الإستقصا- ج2 - ص262.
(630 هـ / 1232م)	المغرب	روض القرطاس- ص 276.
(656 هـ / 1258م)	إفريقية وأحوازها	الفارسية- ص121.
(693 هـ / 1293م)	المغرب	روض القرطاس- ص 384.
(714 هـ / 1314م)	بجاية	سبك المقال- ص 248.
(740 هـ / 1339م)	الجزائر	المسند الصحيح- ص261.
(749 هـ / 1348م)	المغرب الأوسط	الديباج المذهب- ص313.
(765 هـ / 1363م)	المسيلة	العبر- ج7 ص170.
(805 هـ / 1402م)	إفريقية وأحوازها	الفارسية- ص199.
(845 هـ / 1441م)	تلمسان	رحلة القلصادي- ص 105.
(847 هـ / 1443م)	إفريقية وأحوازها	تاريخ الدولتين- ص141.
(871 هـ / 1466م)	تلمسان	البستان- ص224.
(926 هـ / 1519 م)	تلمسان والمغرب	لقط الفرائد- ج 2 ص841.
(927 هـ / 1520 م)	المغرب	لقط الفرائد-ج 2 ص 842.

جدول يبين عدد الأوبئة في المغرب الأوسط ما بين القرنين (6 – 10هـ/12–16م)

القرن	عدد الأوبئة	النسبة المئوية
6هـ/12م	1	%6.5
7هـ/13م	4	%26.83
8هـ/14م	4	%26.83
9هـ/15م	4	% 26.83
10هـ/16م	2	%26.83
المجموع	15	%100

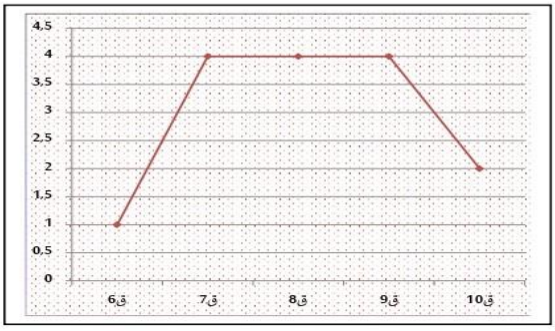

منحنى بياني يمثل تطور مؤشر الأوبئة بالمغرب الأوسط (6-10هـ/12-16م)

التحليل: إنَّ الواضح من الإحصاءات الواردة في الجدول والمنحنى البياني هو انفراد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بعينة واحدة لكارثة الوباء، من إجمالي خمسة عشر عينة مسجلة خلال الفترة الزمنية التي شملها المسح، وليس من شيء أقرب إلى نسق المسببات

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الحاسمة في اندلاع وباء بجاية (588هـ/1192م) إلّا الاضطرابات الأمنية المتجلية فيما صاغه ابن عذاري المراكشي بقوله:" وقلت خيراتها – أي بجاية - وعدمت مرافقها وأقواتها وألّم بالرعية الحيف وتقسمهم الجلاء والسيف"[1]، وقد ارتفع معدل الوفيات بعموم المجاعة والوباء الذي أعقب حصار المدينة[2] من جانب جيوش بني غانية، بل وتعداه إلى كارثة حقيقية على البنية الديموغرافية والقطاع الاقتصادي[3].

وفي مُقابل ذلك نلاحظ أنَّ الأوبئة اتخذت شكلاً دوريا تكاد تتقارب في فترة معاودتها التي تراوحت ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين (15/11م)، وهي القرون التي ارتفعت فيه وتائر تفشيها بمعدل اثنا عشر حالة (12 حالة = 80,49 %) من إجمالي عدد الأوبئة التي عصفت بالمنطقة، ويبدو من جوهر الكارثة– أي الوباء – أنّ هناك تمايزا جليا بين أوبئة استهدفت مجال الغرب الإسلامي دون تحجيم جغرافي، ومنها ما كان له خصوصية قطرية انحسرت في المغرب الأوسط، وهو استخلاص لمسناه مما سلف من المعطيات ذات الصِّلة بالأزمات الوبائية.

والجدير بالذكر أنَّ الحوليات التَّاريخية لم تُفصِّل في الحديث عن الأسباب الكامنة خلف حدوث الأوبئة التي تعقبناها طيلة فترة الدِّراسة، إلّا القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي الذي تُعزى فيه أسبابها إلى التّردد الدّوري لأزمة المجاعات على مجالات المغرب عموما، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص[4]، وبالرغم من أنَّها تلعب دورا معتبرًا في تفشي الأوبئة إلّا أنّ ذلك ليس بصفة مستمرة، فلقد عَرفَ المغرب الأوسط انتشار موجات وبائية خلال فترة ما بين القرنين السادس والسابع والثامن لم تسبقها جوائح المجاعات[5] .

---

1 ابن عذاري المراكشي- المصدر السابق- ص180.

2 حول حصار المدن و تخريبها- ينظر البشير بوقاعدة- الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى(296هـ– 909م/547 هـ– 1152م)- ميم للنشر - الجزائر - 2015- ص 39.

3 الحسن بولقطيب- المرجع السابق- ص 88.

4 سمية مزدور- المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588 هـ–927م/1192هـ– 1520م)- رسالة ماجستير- جامعة منتوري- قسم التاريخ- قسنطينة- 2009- ص138.

5 يمكن الاستدلال بشكل عام من المعطيات التي طرحتها مصادر التاريخ الاجتماعي على تفنيد العلاقة الطردية بين المجاعات والأوبئة بالمغرب الأوسط، فقد رصدنا العديد من الأوبئة لم تقترن سببيا بظاهرة الجوع وتتبلور النظرة أكثر بمجاعة تلمسان التي لم نشهد عقبها وباء، ولذا فهي مؤشر دال على ما تم طرحه، ولا يوجد اختلاف في التدليل بفاشية الوباء الجارف في المغرب الأوسط بسبب العدوى وانتقاله عن طريق حركية التجارة والملاحة البحرية وابتعاده عن المجاعة في المنظومة السببية.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ولعل ما يشهد لوجاهة ذلك ويكشف ما ينطوي عليه من مفارقة هو وباء منتصف القرن الثامن (منتصف ق14م)، فقد أجمعت الدراسات الحديثة[1] على اجتياح الطاعون الجارف- أي الوباء العام - لبلدان بحر الروم عن طريق العدوى[2]، وتكاد توافق جغرافية مساره شبكة المواصلات التجارية في العصر الوسيط، فقد تدَّفق الطاعون الأسود من بلاد الصين تحديدا من حول بحيرة بالكاش شمال منغوليا، وهي المنطقة الأولى التي ظهر فيها وأصبحت الإصابة به تنتشر بسرعة.

وأخذ الطاعون في التفشي والانتشار نحو مجالات جغرافية أخرى، لا سيما بعد أن تجاوب مساره مع ظروف ملائمة لتفشيه كالحركة التجارية، حيث أنه توافد على القسطنطينية عبر بحر قزوين[3]، ليحط رحاله متفشيا في نطاقات بحرية واسعة كموانئ المدن الإيطالية، فظهر بمدينة مسينة سنة (747هـ/1347م)، لينتقل إلى نابولي وبيزا وجنوة ومرسيليا فالبندقية ومصر[4]، ثم اتجه نحو المغرب الأوسط بسبب قدوم سفن التجارة الخارجية[5] ورسوها بالموانئ الساحلية. أمَّا على الصَّعيد الداخلي فنعتبر مسار قوافل الحجيج الموسمية[6] بالإضافة إلى تحركات التجار ونشاط التِّجارة في الواجهة البرية التلية والصحراوية وحركة الحملات العسكرية تبعا لإفرازات الإضراب الأمني في مجال المغارب[7]، من بين العوامل الرئيسية التي جعلت من الطَّاعون الجارف يتسَّرب إلى المغرب الأوسط.

---

1 شلدون واتس- المرجع السابق- ص106. غنوة خليل الدّقدوقي- المرجع السابق- ص262- بوجمعة رويان- الطَّاعون والزهري بالمغرب في عهد الحماية 1912- 1938- مقال ضمن كتاب -المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب- منشورات عكاظ- الدار البيضاء – 2011- ص188.

2 غنوة خليل الدقدوقي- المرجع السابق- ص262 .

3 محمد حسن- البادية والمدينة بإفريقية في العهد الحفصي- منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة تونس الأولى- تونس- 1999- ج1- ص605.

4 شلدون واتس- المرجع السابق- ص65.

5 نسج المغرب الأوسط في هذه المرحلة علاقات تجارية مع دول الحوض الغربي للبحر المتوسط، واستخدمت السفن كآليات لنقل وإيصال السلع والبضائع، ولا مراء إذا اعتبرنا أن الطاعون الجارف محكوم على فاشيته بواسطة السفن والمراكب البحرية- راجع مختار حساني- تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية- منشورات الحضارة- الجزائر- 2009- ص131- دومينيك فاليريون- المرجع السابق- ج2- ص312.

6 غنوة خليل الدقدوقي- المرجع السابق- ص262.

7 خالد بلعربي- المرجع السابق- ص 23.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

هذا ومن الصِّفات المظهرية الناتجة عن الطَّاعون الرئوي[1]– الجارف- الحمى الخبيثة وانحسار العرق في أعضاء من البدن دون مثيلاتها من جوانب بيولوجية أخرى[2]، ويعدُّ نفث الدَّم والذبحة التي تصيب الإنسان من بين أهم الأعراض المرضية للطاعون الأسود[3]، كما أنه يحيل الإنسان على حالات مرضية غير مرغوبة، وبخاصة السعال وسواد اللسان وبزوغ الأورام الملمة بالحلق[4]، ولعّل هذه المتغيرات تبرز مدى تأثير الوباء العام على البنيات البيولوجية لمجتمعات العصر الوسيط، لاسيما وأنَّه لا يخضع لموازنة جغرافية فقد عصف بأغلب الدول وقتئذ دون تمايز مجالي ولا تفضيل عنصري.

وعليه، فقد تعرضت بلاد المغرب الأوسط كبقية المجالات الجغرافية الأخرى إلى فاشية الطاعون الأسود في زمن السلطان أبو سعيد عثمان الثاني (753هـ/1353م)[5]، وما كاد الوباء يحط رحاله، حتى شهد المجتمع نزيفا ديموغرافيا ألقى بفيض من العواقب الخطيرة على مظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية[6]، وبالرغم من أَنَّه طوى البساط بما فيه لينهض شاهدا قول ابن خلدون[7] على حجم الفاجعة إلا أنَّ التكهن بالكارثة الديموغرافية الوخيمة التِّي حاقت ببوادي ومدن المغرب الأوسط يعد أمرا صعبا، لافتقارنا إلى المادة الوثائقية ذات الصلة بموضوع الآفات الطبيعة في الحوليات التاريخية .

الخاتمة: يمكن القول في الأخير أن البِناء الاجتماعي بالمغرب الأوسط قد تَعَرَّضَ لموجات عنيفة ومستمرة من الكوارث الطبيعية فرضت فيها موجة الأوبئة حضورها من خلال ازدياد حدّتها في

1 ورد في اللغة الفرنسية بمصطلح (Peste pulmonaire ou pneumonique)- ليدُّل في إطاره المفاهيمي بأنَّه صنف من الصنوف الوبائية التي تتطور في غضون ثلاثة أو أربعة أيام، وترتفع الحرارة فيه إلى مستويات عالية مع موجات السعال و ضيق في عملية التنفس وكثرة البزاق الدموي، وتتجاوز أعراضه الإصابة بنوبات تؤدي بصاحبها إلى الهلاك. مفتاح خلفات- قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6 – 9هـ/12– 15م)- دار الأمل- تيزي وزو- 2011- ص429.

2 حسين أبو جرة- الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350– 1800)- مركز دراسات الوحدة المغربية- بيروت- 2011- ط1- ص458.

3 ابن خاتمة المري- المصدر السابق- ص181.

4 سمية مزدور- المرجع السابق- ص140.

5 خالد بلعربي - المرجع السابق- ص23.

6 الرصاع- المصدر السابق- ص51.

7 ابن خلدون- المصدر السابق- ج7- ص515.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

القرن (7-8-9هـ/13-14-15م)، بسبب المشاكل الأمنية والأزمات الغذائية- المجاعات والجوائح في فترات معينة.

على الرغم من انتشار الأوبئة بمعدلات مرتفعة إلا أنّه ليس من اليسير إعطاء جواب شافٍ عن أسبابها وآثارها الديموغرافية والاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال فترة العصر الوسيط المتأخر، ويُعزى ذلك بلا شك إلى مغمورية مواضيع الأزمات الصحية في النصوص المصدرية ما عدا وباء بجاية الذي انتشر في سنة (588هـ/1192م)، والطاعون الأسود (749هـ/1348م) الذي عمّ جميع الدول مشرقا ومغربا دون استثناء، فقد أُفْرِدَتْ لهاتين الموجتين الوبائيتين إشارات تاريخية مكنتنا من اصطفاء النزر اليسير والمرتبط بالأسباب الرئيسة التي أدّت إلى انتشارهما.

ويتضح من خلال التّحليلات الكميّة للدّراسة نتيجة أساسية مؤداها أنّ البنيات الاجتماعيّة بالمغرب الأوسط، قد تكبدّت خسائر بشرية وديموغرافية كانت معدلاتها مرتفعة جدا، من جرّاء تعرضها لأزمات الأمراض المتعاقبة في ظل انعدام الخدمات الصّحيّة والمراكز العلاجية ونقص التكفل بالمرضى والمصابين، وبدرجةٍ أعلى أثناء استفحال كوارث الأوبئة وتفاقمها وارتفاع وتائرها التي عصفت بالجماعات السكانية، لاسيما في الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

أ- المصادر:

- **المخطوطة:**

- ابن هيدور أبي الحسن علي بن عبد الله - مقالة في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية- مخطوط مكتبة آل سعود- الدار البيضاء- رقم 364- مخطوط مأخوذ من موقع
- http://www.fondation.org.ma/web/affichage_numerrics/1747/17/ar.
- الشقوري محمد بن علي- مقالة في الطّبّ- مخطوط الخزانة الحسنية – الرباط- رقم- 1540.

- **المطبوعة:**

- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس بن القاسم -عيون الأنباء في طبقات الأطباء- تحقيق نزار رضا- دار الفكر- بيروت- 1956.
- البكري أبو عبيد- المسالك والممالك- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1992- ج 2.
- ابن جلجل أبو داوود سليمان -طبقات الأطباء والحكماء- تحقيق فؤاد شيد- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1985- ط2.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- ابن الجزار أحمد بن إبراهيم- كتاب في طب المشائخ وحفظ صحتهم- تحقيق فاروق العسلي والراضي الجازي- المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة- تونس-2009- ط1.
- الجوهري الفرابي أبو نصر إسماعيل - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- 1987- ط 4- ج4.
- ابن الخطيب لسان الدين- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 2002.
- ابن الخطيب لسان الدين - مقنعة السائل عن المرض الهائل- تحقيق حياة قارة- منشورات دار الأمان- الرباط- 2015- ط1.
- ابن خاتمة المري- تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد- رسالة منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية- تحقيق محمد حسن- المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب- بيت الحكمة-تونس-2013.
- ابن خلدون عبد الرحمن - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة -الفكر- بيروت – 2000- ج7.
- الرصاع محمد بن قاسم -الأجوبة التونسية عن المسائل الغرناطية – تحقيق محمد حسن- بيروت- دار المدار الإسلامي – 2007- ط1.
- الزجالي أبو يحيى عبيد- أمثال العوام في الأندلس- تحقيق محمد بن شريفة- منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي- المغرب- د ت- ج 2.
- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود - أساس البلاغة- تحقيق محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية، بيروت- 1998- ط1- ج1.
- ابن زهر أبو مروان بن عبد الملك- كتاب الأغذية- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1998- ط1.
- ابن زهر أبو مروان بن عبد الملك- التيسّير في المداواة والتّدبير- تحقيق ميشيل الخوري- منشورات المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم - دمشق - 1983- ط1- ج2.
- ابن سينا الحسين بن عبد الله - القانون في الطب- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1999- ط1- ج1.
- ابن عذاري العباس بن أحمد بن محمد المراكشي - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين- تحقيق إبراهيم الكتاني وآخرون- دار الغرب الإسلامي- 1985- ط1.
- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر- بذل الماعون في فضل الطاعون- تحقيق أحمد عصام عبد القادر- دار العاصمة- السعودية- 1990- ط1.
- الغبريني أبو العباس أحمد- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق عادل نويهض- منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- 1979م- ط2.
- الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد - القاموس المحيط - تحقيق نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت - 2005 - ط8.
- القزويني أحمد بن زكرياء- معجم مقاييس اللغة- تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار الفكر، بيروت-1979- ج6.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- التادلي ابن الزيات- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي- تحقيق أحمد التوفيق- مطبعة النجاح الجديدة- الرباط- 1997- ط2.
- الوزان حسن - وصف إفريقيا- ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983- ط2- ج1.
- ابن منظور محمد الإفريقي- لسان العرب- دار صادر- بيروت- -2008- ط 6- ج15.
- النديم محمد بن اسحاق، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان- دار المعرفة- بيروت-1997- ط2.
- ابن حنبل أحمد- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد- مؤسسة الرسالة- مصر- 2001-ج 32.
- الطبراني- الروض الداني- تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير- المكتب الإسلامي- بيروت- 1985- ط 1- ج 1.

ب-المراجع:

- الدّقدوقي غنوة خليل- أمراض الحروب- دار المعرفة ، بيروت- 2007- ط1.
- بوجرة حسين- الطاعون و بدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350 – 1800)- مركز دراسات الوحدة المغربية- بيروت- 2011- ط1.
- بولقطيب الحسن - جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين- مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء– 2002.
- بوجمعة رويان- الطَّاعون و الزهري بالمغرب في عهد الحماية 1912- 1938- مقال ضمن كتاب المعرفة الطبية و تاريخ الأمراض في المغارب- منشورات عكاظ- الدار البيضاء – 2011.
- بوقاعدة البشير- الصراع العسكري و خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى (296 هـ– 909م/547 هـ– 1152م)- ميم للنشر - الجزائر – 2015.
- بكاي عبد المالك - الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن (7– 10هـ /13– 16م)-أطروحة دكتوراه- جامعة باتنة- 2014- ص203- عمر بنميرة- النوازل و المجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط- مطبعة الأمنية- الرباط- 2012- ط 1.
- بلعربي خالد- المجاعات و الأوبئة بتلمسان في العهد الزياني- مجلة كان التاريخية- ع 4 - جوان – 2009.
- بنحمادة سعيد- الماء و الإنسان في الأندلس- خلال القرنين 7 و8 هـ/13 و14م- إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات ط 1-دار الطليعة- بيروت- 2007- ط1.
- بروديل فرنان - المتوسّط و العالم المتوسّطي- ترجمة مروان أبي سمرا- دار المنتخب العربي- بيروت- 1993- ط 1.
- واتس شلدون- الأوبئة و التاريخ المرض و القوة الامبريالية- ترجمة أحمد محمود عبد الوهاب- المركز القومي للترجمة- 2010- ط1.
- حاجيات عبد الحميد - دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان و المغرب الإسلامي- عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج1.
- حساني مختار- تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية و الثقافية- منشورات الحضارة- الجزائر- 2009.
- حسن محمد - القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط- دار الرياح الأربع- تونس- 1986- ط1.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- حسن محمد- البادية والمدينة بإفريقية في العهد الحفصي- منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة تونس الأولى- تونس- 1999- ج1.
- مزدور سمية- المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588 هـ–927م/1192هـ– 1520م)- رسالة ماجستير- جامعة منتوري- قسم التاريخ- قسنطينة- 2009.
- فاليريون دومينيك - بجاية ميناء مغاربي- ترجمة علاوة عمارة- المجلس الأعلى للغة العربية- الجزائر- 2014- ط1.
- فتحة محمد - النوازل الفقهية والمجتمع- أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن السادس إلى التاسع هـ/12- 15م)- مطبعة المعارف الجديدة- الرباط- 1999.
- غالم محمد- ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين الذاكرة و التقليد- مجلة إنسانيات- ع 3- 1997.